٢- جغرافيا اللّغات: قراءة في تحديات اللغة العربية في السودان

د. أبوبكر محمد عثمان آدم
قسم الجغرافيا – كلية العلوم الإنسانية/ جامعة بحري – السودان
بريد إلكتروني: abubakerabusadia@gmail.com

-

Abstract

Geography of languages: Readability in Arabic language challenges in Sudan is dealt with Arabic language in accordance to

oncepts of language borrowing, overlapping of language structure and language assimilation. The study aims to search on the importance of Arabic language among other Sudanese languages. It aims to alert on challenges surrounding Arabic language and also to draw attention by the future of these challenges. At late it aims to address the geographical distribution of language borrowing and put it under focus.

The core question of the study is what are main challenges facing Arabic language in Sudan in accordance with language borrowing. Overlapping of language structure and language assimilation. In addition to secondary questions on responsibility of these challenges and the future of Arabic language in Sudan. The study used descriptive, survey and observations as tools and spss program for analysis. The study concludes that the language borrowing is the most important hazard facing Arabic language in Sudan and Arabic language impacts on overlapping of language structure of other Sudanese languages. While academic frames have an important role in the weakness of language assimilation of study samp

المقدمة:

جغرافيا اللّغات: قراءة في تحديات اللغة العربية في السودان دراسة تُعنى بتسليط الضوء على موقف ومكانة اللغة الأُم استناداً إلى مفاهيم الاقتراض اللغوي، وتداخل البنى اللغوية، والاستيعاب اللغوي، وما يحيط بها من ظروف كتحديات أساسية تواجه اللغة العربية في السودان. في ما يتعلق بالاقتراض اللغوي ستناقش الدراسة علاقة إدخال مفردات للُغات أجنبية عند حديث أهل العلم والمعرفة في السودان باللغة الأُم في المحافل المختلفة في سياق سيادة اللّغات الكولونيالية، ويقصد باللغة الكولونيالية: اللغة الإنجليزية المُعولمة، وبعض اللّغات التي تشاركها في قدر الغرب (المسكيني: ٢٠١٦). لقد لاحظ الباحث شيوع الظاهرة بحكم وجوده وسط المعنيين بظاهرة الاقتراض اللغوي سواء كان في المنابر السياسية والاجتماعية والأكاديمية والورش والمؤتمرات والاجتماعات والمخاطبات الجماهيرية وغيرها، وما ينجم عن ذلك من تحديات وآثار مستقبلاً. وفي جانب تداخل البنى اللغوية سيكون الاهتمام بالأثر المُتبادل بين اللغة العربية واللّغات الوطنية الموجودةً أصلاً في البيئات الجغرافية المختلفة قبل دخول اللغة العربية السودان كلغات شمال وشرق وغرب السودان. وفي الجزئية الأخيرة تستعرض الدراسة البعد الثالث والأخير عن الاستيعاب اللغوي على ضوء نتائج وتحليل الاستبانة الخاصة بمدى استيعاب اللغة العربية، والتي تشكلت من واحد وثلاثين سؤالاً وزعت عشوائياً على عينة بلغت ١٩٢ طالباً وطالبة من جملة مجتمع الدراسة الذي بلغ ٧٤٤، وهم طلاب وطالبات المستوى الأول، البرنامج الثانوي، كلية التربية بجامعة بحري، ولذا فإن العينة تُمثل ٢٦٪ من مجتمع الدراسة. هذه الدراسة تندرج تحت غطاء ما يعرف باللسانيات الجغرافية، إذ إن لكل لسان ميدان عمله الجغرافي الخاص بمستويات متنوعة من الكفايات.

الإطار المفاهيمي:

تدخل هذه الدراسة ضمن إطار إسهام المؤثرات الجغرافية والاجتماعية والتاريخية في إذكاء التحديات التي تواجه اللّغات. ترى سارة طوماسون ويوافقها في الرأي تيرينس كوفمان، أن المؤثرات الاجتماعية والتاريخية تنحو منحيين يغطيان المستوى الكلي للغة والمستوى الجزئي منها، المُتمثل في المُتكلم الفرد – هما: الأول: توجيهية التأثير، ويهم هذا المستوى متكلمي اللغة الأُم، ويتفرع إلى اتّجاهين: الاقتراض اللغوي: ويقصد به إدماج عناصر أجنبية في اللغة الأُم، وكلمة اقتراض مأخوذة من قرض، وكان يستعمل في إعطاء المال واقتطاعه لإنسان ليرده خلال أجل معين بين المُقرض والمقترض (عطية وآخرون: ٢٠٠٤)، وفي هذه الدراسة يقصد به استخدام المثقفين أو الأكاديميين أو السياسيين أو الخطباء الجماهيريين أو المفكرين السودانيين لألفاظ وتعابير للغات أجنبية عند التحدث إلى المجموعات المُستهدفة. أما تداخل البنى اللغوية: وذلك حينما تؤثر بنية اللغة الدخيلة على بنية اللغة الأُم أو"العكس". الثاني: العوامل الاجتماعية، وتقوم بالضغط على اللغة الأُم، أو اللّغات الأُم لصالح اللغة أو اللّغات الدخيلة (المددي: ٢٠١٦). وفي واقع العولمة كفت اللّغات عن أن تكون مجرد أدوات تواصل ومكونات هُوية ينبغي تحصينها. فالمنظومة الجديدة فرضت حداً من التبادل والتفاعل لا مهرب منه (السوداني: ٢٠١٦). وعلى غرار الأيكولوجيا التي تقدم مختلف مستويات الحياة في سلسلة من عمليات الدمج تبدأ من الخلية وتنتهي عند المحيط البيئي (كالفي، ترجمة الشاوش: ٢٠١٦)، يمكن أن نقدم لغات السودان في صورة نظام دوّار مركزه اليوم هو اللغة العربية، باعتبارها اللغة المركزية التي تدور حولها مجموعة من اللّغات المحلية كالنوبية والتبداوية وعائلة اللّغات الصحراوية والأفريقية. هيمنة اللغة العربية في السودان في الوقت الراهن لا جدال فيه، وتتميز بالديمومة، لكن التاريخ يشير إلى أنه كلما اتسع انتشار لغة من اللّغات في بلاد مترامية الأطراف زاد ميلها إلى التنوع، ولذا فإن المشهد اللغوي السوداني ليس معصوماً من التغيير في القرون المُقبلة، وهذا يعني أن اللّغات ووظائفها في النظام الدوار ستتبدل، وأن اللغة المركزية يمكن أن تتغير، لأن تاريخ اللّغات ليس أسعد حظاً من التاريخ، فهو مثله لا يتوقف في الحاضر، بل يتواصل على الدوام

بفعل المُتعلمين (كالفي، ترجمة الشاوش: ٢٠١٦). إن الإحصائيات التي تقدمها المنظمات الدولية تشير إلى انقراض لغة كل حوالي ١٤ يوماً، أي موت حوالي ٢٥ لغة في السنة، وهو أمر سيؤول إلى انقراض حوالي نصف اللّغات المُتداولة اليوم، إذ تُشير المُعطيات الاحصائية إلى أن حوالي ٦٠٠ لغة قد أخذت طريقها التدريجي نحو الانقراض، وسيؤول النسق الحالي خلال القرن الحادي والعشرين إلى اندثار ما لا يقل عن ٣٠٠٠ لغة (المددي: ٢٠١٦). هناك العديد من اللّغات الحية الأخرى في السودان غير اللغة العربية يتكلمها أهلها كممارسة يومية، وليست في محل تحدٍ، أو منافسة أو صراع مع اللغة العربية، ومع ذلك هناك حاجة ماسة لبذل المزيد من الجهد لمواجهة التحديات التي تواجه اللغة العربية في السودان أو غيرها من الدول، إذ ليس كافياً القول بأنها مشمولة بالحفظ كما هو شأن القرآن الكريم، وليس ببعيد عنا ما دار في المجلس العربي للطفولة والتنمية في مؤتمره العالمي حول لغة الطفل العربي في عصر العولمة، الذي انعقد في مقر جامعة الدول العربية في فبراير ٢٠٠٧م، والذي شارك فيه أكثر من خمسمئة باحث ينتمون إلى تسع عشرة دولة عربية، وإلى عدد من الدول الأخرى، وهو المؤتمر الذي أفتى على– على حد تعبير الدكتور علي القاسمي– بموت اللغة العربية ونعاها حينما "بش" بموتها بعض المُشاركين فيه، وذلك تحت غطاء نزع القداسة عنها، مع العلم أن عدداً من هؤلاء من المشهورين بمواقفهم الإيجابية تجاه اللغة العربية (الرحموني: ٢٠١٦).

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

١- البحث في أثر الاقتراض اللغوي وتداخل البنى اللغوية وواقع الاستيعاب كتحديات تواجه اللغة العربية في السودان كلغة أُم.
٢- التعرف على موقع ومكانة اللغة العربية بين لغات السودان الأخرى.
٣- التنبيه عمّا يحيط باللغة العربية من تحديات.
٤- رسم خارطة طريق للتعامل مع هذه التحديات في المستقبل.
٥- دراسة مسألة الاقتراض اللغوي والتوزيع الجغرافي للظاهرة.

الأسئلة التي تجيب عنها الدراسة:

تثير الدراسة سؤالا جوهريا تحاول الإجابة عنه وهو: ما هي التحديات الأساسية التي تواجه اللغة العربية في السودان في سياق مفاهيم الاقتراض اللغوي، وتداخل البنى اللغوية، والاستيعاب اللغوي؟ وينبثق عن هذا السؤال أسئلة فرعية هي: من المسؤول عمّا تواجهه اللغة العربية من تحديات؟ كيف ينظر لمستقبل اللغة العربية في السودان على ضوء هذه التحديات؟

أهمية الدراسة:

حسب علمي فإن هذه الدراسة من الدراسات النادرة التي تطرقت لموضوع الاقتراض اللغوي تحديداً، ولذا فإن أهمية الدراسة تأتي من محاولتها إضفاء بعد جديد لقضية مؤثرة في اللغة العربية لم تُحظ بدراسات وأبحاث توضح علاقتها باللغة العربية في البلاد، وبالتالي يمكن أن تفتح الباب على مصراعيه للنقاش والحوار، فضلاً عن الأهمية النسبية للمتغيرات الأخرى التي لم تعد خافية كتداخل البُنى والاستيعاب اللغويين.

فروض الدراسة:

تفترض الدراسة التباين في أثر هذه التحديات، بمعنى: التحديات الناجمة عن ضعف الاستيعاب اللغوي هي الأكثر تأثيراً مقارنةً بتلك الناتجة عن الاقتراض اللغوي أو تداخل البنى اللغوية.

إجراءات الدراسة:

اتبعت الدراسة الإجراءات التالية:

١- **المنهجية:** لتحقيق أهدافها والإجابة عن تساؤلاتها استعانت الدراسة بالمنهج الوصفي، وهو مناسب للدراسة لأنه يرمي إلى رصد واقع التحديات، وهو منهج لا غنى لجغرافي عنه.

٢- **عينة الدراسة:** لمعرفة موقف الاستيعاب اللغوي استعانت الدراسة بعينة من طلاب وطالبات المستوى الأول، برنامج الثانوي للعام الأكاديمي ٢٠١٦/ ٢٠١٧م بلغت ١٩٢ مبحوثاً من جملة ٧٤٤ طالباً وطالبة كمجتمع للدراسة.

٣- **أدوات الدراسة:** اهتدت الدراسة إلى الاستبيانات والملاحظة والمشاهدة والمعايشة كأدوات لجمع البيانات والمعلومات.

الاقتراض اللغوي:

ندرس موضوع الاقتراض اللغوي باعتباره إحدى وسائل الوضع اللغوي والمصطلحي، لأن تبادل التأثير والتأثر بين اللّغات والشعوب قانون اجتماعي سار في المجتمعات القديمة والحديثة على السواء (محمد: ٢٠١٧). ظاهرة اقتراض اللّغات ظاهرة عامة لا تكاد تخلو منها لغة متى ما توفر لمتحدثيها أدنى اتصال بمتحدثي لغة أخرى (جاه الله وعبدالمولى: ٢٠٠٧). لقد اقترضت اللغة العربية كغيرها من اللّغات كلمات من عدة لغات، وهذا يعني أن مصادر الاقتراض اللغوي في السودان، إما اللّغات الأجنبية، أو اللّغات واللهجات المحلية، أو اللّغات التاريخية القديمة كاليونانية والفرعونية. والاقتراض اللغوي أنواع، منها الاقتراض الكامل: حيث تقترض الكلمة كما هي في لغتها دون تعديل، والاقتراض المُعدّل: حيث تقترض الكلمة ويعدل نطقها أو ميزانها. وهناك الاقتراض المُهجن، تقترض الكلمة ويترجم جزء منها إلى اللغة المقترضة ويبقى الجزء الآخر كما هو. كل هذه الأنواع يستخدمها المُثقفون السودانيون عند الاقتراض من لغة غير العربية. والاقتراض يظهر بوضوح في الألفاظ والتعابير بصورة أكبر ممّا عليه الحال في الأصوات أو الأشكال القواعدية. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى شيوع ظاهرة الاقتراض اللغوي وسط المثقفين السودانيين: مكانة اللغة المقترضة منها للاعتقاد أن الكلمة في الإنجليزية مثلاً أعظم مكانة. ومن الأسباب النزعة إلى التفوق، فالأمم التي تتبع لها اللّغات الكولونيالية، تحديدا الإنجليزية ثم الفرنسية محسوبة في عداد الذين ينظر إليهم بأنها أمم جديرة بالتقليد، وأخيراً الإعجاب باللفظ الأجنبي الذي يشير إلى معرفة وإجادة لغة كولونيالية. من البديهي أن تكون العولمة المتسارعة للدوائر الاقتصادية والسياسية مشفوعة بانتشار متزايد لاستخدام اللغة الإنجليزية في التواصل جنباً إلى جنب مع التزايد في عدد المقبلين على الكتابة والتراسل بالإنجليزية، ولا غرو في ذلك حين لم يجنح الأمر إلى التجاهل أو التخلي عن اللغة الأُم أو حتى اللّغات المحلية. ولكن ليس من الحكمة التوسع في استلاف مفردات للغات أجنبية عند التحدث في المنابر المختلفة الرسمية والشعبية عوضاً عن اللغة الأُم.

تداخل البنى اللغوية:

من الواضح أن اللغة العربية قد دخلت في صراع كبير مع عدد لا يُحصى من اللّغات في السودان القديم، وتداخلت في أصولها ومعانيها بها، فإلى جانب اللّغات النيلية والزنجية المجهولة لدينا، كانت هناك اللّغات الحامية المختلفة كلغات البجا والنوبة القديمة وبقايا اللّغات المندثرة كالمروية والفرعونية والقبطية بجانب بقايا لغات حضارية أخرى كاليونانية. ومن الواضح أن أثر اللغة اليونانية قد برز بوضوح في صلب اللغة العربية عن طريق اللغة الفصحى، إذ إن كثيراً من الألفاظ اليونانية

المعهودة لدينا معروفة في اللغة العربية كالملوخيا والمنخوليا وما إليها (قاسم: ١٩٨٩). ومن الظواهر التي تسترعي النظر في مجال التكوين اللغوي ذلك التمازج الذي يحدث بين الألفاظ العربية وغيرها، وقد يكون المقطع أو الجزء العربي الأصل قد اختفى كلفظ مستقل مثل لفظة "القرب" بمعنى الخاصرة، والتي لا نجدها هكذا في العامية، ولكننا نجدها متصلة بالمقطع البجاوي"آب" الدال على النسبة في لفظة "القربات" الدالة على التنورة المعروفة. وقد نجد في بعض الأحيان الصيغتين معاً، وفي ذلك دلالة على اختلاف التأثير حسب البيئات الجغرافية المتباينة. لقد تأثرت البنى اللغوية للُغات المحلية واللغة العربية على السواء باختلاف المناطق الجغرافية والقبائل. فالقبائل المستقرة تأثرت أولاً، واضطرت إلى إحداث تغييرات كبيرة في مدلولات الألفاظ ومعانيها لتلائم بيئتها الجديدة، مثلاً "الدرقة" التي تدل في الأصل على"الترس" جعلناها أيضا تدل على حائط البيت. و"الزغردة" وهي في الأصل من الأصوات التي ترددها الإبل في جوفها جعلناها زغاريد النساء في الأفراح (قاسم: ١٩٨٩). وبدخول العرب السودان انتقلت اللغة العربية إلى بيئة جديدة لا بد من أن تتأقلم وتتكيف مع الظروف الجغرافية الجديدة حتى تلبي حاجات الناس وتستقيم على ألسنتهم، وقد استلزم ذلك إحداث تغيرات كبيرة في البنى اللغوية، وخاصةً في النطق والمعنى والإبدال. فالإبدال على سبيل المثال استُعين به لتطويع اللغة العربية وتسهيلها على الألسن، ويعني الميل إلى التخلص من الحروف الصعبة وتبديلها بغيرها، مثلاً:

-"ذ"، استُبدل ب "د" كما في جدع بدلاً عن جذع.
-"ذ"، استبدل ب "ض" كما في ضبح بدلاً عن ذبح.
-"ث"، استبدل ب"ت" كما في تلاتة بدلاً عن ثلاثة.
-"م"، استبدل ب "ب" كما في بكان بدلاً عن مكان. وبتين بدلاً عن متين.

وقد نلجأ أحياناً إلى الحذف فنقول: "ود" بدلاً عن"ولد"، و"بت" بدلاً عن"بنت"، و"نص" بدلاً عن "نصف"، و"فد" بدلاً عن "فرد". وقد تستدعي ضرورة التخفيف زيادة حرف أو أكثر فنقول"طوطح" بدلاً عن "طوّح"، و"لولح" بدلاً عن "لوّح". وقد يذهب الأمر إلى مزج كلمات عديدة في كلمة واحدة، فنقول" معليش" عوضاً عن" ما عليك شيء"، و"عشانك" بدل "على شأنك"، و"هسع"، بدل " هذه الساعة". ولعل أهم ما يلفت النظر في هذا المقام أثر اللّغات القديمة التي استقر العرب في وسط المتكلمين بها. ومن الأمور البديهية أن العربية وإن قضت على هذه اللّغات في مناطق كثيرة من السودان، إلا أنها لابد أن تكون قد تأثرت بها في كثير من جوانبها مثلما تأثرت كثير من هذه اللّغات الحية الأخرى باللّغة العربية في تراكيبها ومفرداتها، والشواهد على ذلك كثيرة من النوبية والبجاوية ولغُات الفور وما إليها (قاسم: ١٩٨٩). والتداخل بين هذه اللّغات القديمة يتمثل في التداخل البنيوي الملموس كإضافة مقاطع بعينها لها دلالاتها الخاصة للغة العربية لتحمل نفس الدلالات التي كانت لها في لغاتها الأصلية مثل المقطع"آب" من البجاوية والمقطع " آق" من النوبية. ومن اللّغات الأفريقية القديمة جاءت الألفاظ التي تضم الصوتين "نا" و "نانا" مثل "نم نم"، و"نيام نيام". كل هذه المخلفات القديمة وآلاف غيرها درجت على الألسنة منذ أقدم العصور، ولم تستطع اللغة العربية القضاء عليها لأن استمرارها كان ضرورة اجتماعية، وكانت اللّغة العربية من الطواعية والمرونة بحيث ضمتها إليها ممّا جعل أمر اكتشاف أصولها غير ممكن إلا بالدراسة والبحث (قاسم: ١٩٨٩). فقد تدلنا الدراسة المتعمقة للتركيب الصوتي للنوبية والبجاوية وغيرهما من اللّغات المحلية، على أن غلبة بعض الظواهر الخاصة كالتحريك مثلاً مرده إلى تأثير المتكلمين بالعربية بهذه اللّغات في نطقهم وطريقة كلامهم من تفخيم بعض الحروف وترقيق، ومن تحريك وإسكان، ومن قلب وإبدال وتركيب للجُمل، ولذا فإن الكثير من الظواهر النحوية والتركيبية في عامية السودان غريبة على اللغة العربية. والسبب في هذا التداخل اللغوي هو أن للغة وظيفة اجتماعية تؤديها، والكلمات تبقى وتندثر بمقدار نجاحها أو فشلها في تأدية هذه الوظيفة. لقد عاش العرب في الصحراء، ولكنهم عندما استقروا في

أماكن الزراعة، وخاصةً على ضفاف النيل لم تسعفهم لغتهم بالألفاظ المواتية التي تُعبر عن هذه البيئة الزراعية، ولذا من الطبيعي أن تستمر معظم مصطلحات اللغة النوبية " لغة شمال السودان، بلهجاتها الأربع عند: الكنوز والسكوت والمحس والدناقلة. والتبداوية " لغة شرق السودان"، ولهجاتها الخمس عند: العبابدة والحلنقا والأمرار والبشاريين والهدندوة. واللّغات الأفريقية " لغات غرب السودان"، عند: الفور والزغاوة والمساليت، كما أن الأنقسنا في الجنوب الشرقي للسودان يتحدثون بلغتهم الخاصة.

إن السمة الغالبة لتداخل البنى اللغوية في السودان نتجت عنها لغة عربية متأقلمة. لقد احتفظ السودانيون من أهل الوسط بكثير من الألفاظ والعادات العربية، ولكنهم طوعوا كثيراً من الألفاظ ومعاني اللّغات القديمة لتلائم ظروف حياتهم وبيئاتهم، وورثوا قدراً كبيراً من آثار الحضارات غير العربية التي سبقتهم، امتزجت كل هذه العناصر والتيارات لتنتج لغة عربية سودانية خاصة، مثلاً العُرس السوداني: فالعقد والحنة والضريرة والبطان تدل على التيار العربي، والشبال والسكسك تدل على التيار التبداوي، والجرتق والبرش والسوميت تدل على التيار النوبي، والدلوكة على أصل أفريقي.

الاستيعاب اللغوي:

لقد تم تحليل البيانات التي جُمعت من خلال الاستبانة التي وُزعت على العينة عبر برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية "spss" فكان معامل الصدق ٠,٦ ، ومعامل الثبات ٠,٧٦ ، ودرجات الحرية "٢"، واختبار مربع كاي ١٨٨١,٩٧٩، والتي أفادت الدراسة في الوصول إلى حقيقة رئيسة وهي: ضعف استيعاب مقرر اللغة العربية ممّا انعكس سلباً على نتائجهم في الشهادة السودانية للعام الأكاديمي ٢٠١٦/٢٠١٧م، بدليل أن الراسبين في اللغة العربية في امتحانات الشهادة السودانية لعام ٢٠١٦م كانوا ٩٢,٠٣٢ طالباً وطالبة من جملة الجالسين للامتحان البالغ عددهم ٤٥٩,٩٩٥ طالباً وطالبة، أي بنسبة ٢٠٪ كأكبر نسبة رسوب مقارنةً بجميع المواد الأخرى. إن أهم الأسباب التي أدت إلى الضعف في الاستيعاب اللغوي وفقاً لتحليل الاستبانة هي:

١- افتقار المؤسسات التعليمية للوسائل التدريسية المطلوبة:
يقصد به المُعينات التي تساعد على التعليم والتعلم وكل ما يتعلق ببيئة التدريس كالسبورات الإسمنتية التقليدية، والسبورات البلاستيكية الحديثة، أو السبورات الذكية، البروجكترات والأجهزة الإلكترونية المختلفة، واللغة العربية شأنها شأن اللّغات الكولونيالية بحاجة إلى معامل للتدريس، بالإضافة إلى قلة البنيات التحية من مبان ومُعينات تجليس وغيرها.

٢- نقص في المُلم المؤهل:
شهادات التخرج الجامعية لا تُكسب المُتخرج تأهيلاً كاملاً، وإنما يتطلب الأمر المزيد من التأهيل والتدريب بغرض الحصول على المهارات المعرفية والتعليمية المطلوبة في العلمية التدريسية.

٣- اختلاف في طرق التدريس:
لكل معلم أو معلمة طريقة مختلفة في التدريس، وأسلوب تعامل مختلف ممّا ينعكس إيجاباً أو سلباً على استيعاب المتلقين، للمرونة انعكاساتها، وللتشدد تداعياته، وهناك تباين في مدى قدرة المعلم أو المعلمة في توصيل المطلوب وفقاً لعوامل نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو بيئية أو أخرى، إلى جانب الفروقات العقلية والذهنية للمجموعة المُستهدفة، ممّا يعني أن على المعلم أو المعلمة أن يأخذ في الاعتبار هذه الفروقات، ومعطيات البيئة الجغرافية المكانية المحيطة.

٤- افتقار المؤسسات التعليمية للجمعيات الأدبية:

إن من أهم أهداف الجمعيات الأدبية في المراحل التعليمية المختلفة، وخاصةً الثانوية هو تعزيز وترسيخ اللغة الأُم أو الوطنية من خلال تزويد الدارسين بالمهارات الخطابية والشجاعة الأدبية، واستخدام صحيح اللغة العربية في القراءة والكتابة والإلقاء، وتشجيع الاهتمام باللغة العربية والاستمتاع بالكلام بها.

٥- كبر مناهج اللغة العربية:

تحتوي هذه المناهج البلاغة والتعبير، وقواعد اللغة العربية " النحو"، والمطالعة والأدب، بالإضافة إلى اللغة العربية المُتقدمة، والتي منها دراسات أدبية ولُغوية. وبناءً على عينة الدراسة هناك إسهاب كبير في شرح هذه المفردات الأمر الذي صعّب من استيعابها.

التحديات:

وعلى ضوء مفاهيم الاقتراض اللغوي، وتداخل البنى اللغوية، والاستيعاب اللغوي تواجه اللغة العربية في السودان التحديات التالية:

١- **الحداثة الإجبارية:** ثمن الحداثة هو التخلي عن المعنى الرومانسي للغة الأُم والانخراط في اللغة الكولونيالية، أي الإنجليزية المعولمة وبعض اللّغات التي تشاركها كالفرنسية والإسبانية (المسكيني: ٢٠١٦). إن الحداثة في جانب منها لغة كولونيالية، أو استعمار لُغوي حديث لا غير. لقد تمكن الغرب من تنصيب بعض اللّغات الكولونيالية في داخل حياة غير غربية تشعر بأنها تتكلم لغة إمبراطورية مفروضة بواسطة فلسفة التاريخ تارةً، أو بالقوة الاستعمارية العسكرية، أو الاقتصادية، أو السياسية، أو العلمية، أو الجمالية تارةً أخرى (المسكيني: ٢٠١٦). لم تكن اللغة العربية في السودان في خطر أو مهددة بالانقراض اللساني، ولكنها أمام تحدي ثقافي في مواجهة لغات كولونيالية مُهيمنة. يبدأ الخطر دوماً قبل أن نتفطن إليه، أو نتجاهله وحين يحدق بإحدى اللّغات يعني أنها فقدت المبادرة لصالح لغات أخرى. وهنا نتساءل مع رولان ج. ل. برطون (٢٠١٦)، كيف يتسنى للغات الواسعة الانتشار أو اللّغات الوطنية أن تصمد في وجه اكتساح اللغة الإنجليزية؟ هذا التحدي يواجه المؤسسات الأكاديمية، وخاصةً العليا منها والمنتشرة جغرافيا وبجميع ولايات البلاد.

٢- **تضاؤل الشعور بالانتماء:** من دعاة العامية أو المتحيزين للغات المحلية. إنهم سيواجهون بصعوبة افتقار العامية واللّغات المحلية إلى إمكانات الاشتقاق والتوليد الذي تتميز به الفصحى.

٣- **التغريب:** ويعني الإعجاب والميول نحو حضارة اللّغات الكولونيالية المُهيمنة أو التخلي عن الوطن. ومظاهر التغريب منتشرة في السودان مثل إطلاق تسميات أجنبية على المنشآت والعمارات والمحلات وتزيين ملابس الأطفال والثياب بكلمات لا صلة لها باللغة العربية، بالإضافة إلى ظهور المدارس الأجنبية التي تدرس باللغة الإنجليزية وسط شعور كبير بأنها هي التي تُقدم التعليم العصري.

٤- **الموقف المُغالي في الدفاع عن اللغة العربية:** الموقف القائم على أساس إنكار الخطر. إن الخطر في إنكار الخطر، الموقف الذي يؤكد باستمرار بأن اللغة العربية في السودان بخير ولا داعي لإثارة موضوع اللغة العربية والتدأول حول حاضرها ومستقبلها لأنها أكثر حصناً ممّا يتوقعه الناس.

٥- **تحديات منهجية وثقافية وبنيات تحتية:** إن عدم التعامل مع هذه التحديات بجدية يعني ضعف شامل في اللغة العربية بكل فروعها، ولهذا يُجمل الدكتور ممدوح خسارة ١٩٩٩م مجموعة مخاطر قد تنجم عن هذه التحديات، منها تخريب البنية الصوتية للُغة العربية بإدخال ألفاظ غريبة عنها، وخرق القواعد المعرفية للُغة العربية، تهديد اللغة العربية وتضييع خصائصها.

على من تقع المسؤولية؟

لقد تدهور الأداء اللغوي حتى في الحياة الجامعية التي غلبت العامية على محاضراتها، وتفشت الأخطاء النحوية والإملائية والأسلوبية والصياغية في الرسائل الجامعية حتى بين المنتسبين إلى أقسام اللغة العربية ومعاهدها وكلياتها المختلفة. والعامية هي نسبةً إلى العامة، وقد كان القدماء ينسبون كل كلام فيه عدول عن الفصيح إلى العامة. إن الأمر المُهم هنا هو ليس وجود العامية إلى جانب الفصحى في شكل ثنائية متوازية، فالفصحى عاشت إلى جانب العامية قروناً طويلة، والعامية هي أخت الفصحى، وليست نداً ولا مزاحمةً لها (الرحموني: ٢٠١٦)، ولكن ما يُلفت الانتباه هو زيادة استخدام العامية بين الفئات المختلفة للمجتمع السوداني، العامة منهم والمتعلمين ممّا قد يؤدي إلى تراجع في اللغة العربية السليمة والصحيحة. أما الإعلام وأجهزته فهو ما زال عاملاً من عوامل تهديد اللغة العربية في السودان، وذلك بتشجيعه للعاميات باستخدامها في المسلسلات والأغاني، وكذلك في الصحافة والتلفزيون والحوارات، فالإعلام يحتاج إلى من يتقن اللغة العربية أولاً، ثم بعض اللّغات الكولونيالية الأخرى. والمذيعون كيف يقومون بدورهم المطلوب وهم لا ينطقون اللغة العربية في صورتها الصحيحة؟ وكذلك القادة السياسيون لا بد أن يتسلحوا باللغة والفكر والثقافة حيثما كانوا. تقع المسؤولية على الحكومات المركزية والولائية بعدم تخصيصها للميزانيات الكافية للتعليم بشكل عام. تقع المسؤولية على الأجهزة التشريعية والتنفيذية، على الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات العامة والخاصة، على وسائل الإعلام وأهل الثقافة والفكر والرأي، فالإصلاح يبدأ من شعب متعلم، حر، واع يقوم فيه الأفراد بتحمل المسؤولية تجاه مجتمعهم، ويتمتعون بالعلم والمعرفة، ويتساوى فيه الجميع في تحمل المسؤولية.

الرؤية المستقبلية:

إن المستقبل القادر على التعامل مع هذه التحديات رهين نوع من السياسة اللغوية بالبلاد، إذ لا يتكلم الناس أي لغة كانت، بل يمكنهم الانتماء إليها لأنها توفر دون غيرها أفقاً مخصوصاً لفهم نفسهم (المسكيني: ٢٠١٦). يتوقف المستقبل على فعالية ومتابعة تنفيذ السياسة اللغوية التي عليها التركيز على أنظمة التعليم. فالقصور في آليات ومناهج وأدوات تعليم وتطوير اللّغات عام وشائع يلقي بثقله على اللغة العربية واللّغات المحلية القديمة على السواء. لا بد من سياسة تُشجع على التميز في اللّغات السودانية بما فيها اللغة العربية، سياسة تُهيئ البيئة المناسبة، وتوفر الميزانيات اللازمة. علينا أن نبدأ بالنشء بتحفيظهم الشعر، فالشعر على مرّ التاريخ يجعل من كاتبه مميزاً في اللغة ومجدداً لها. علينا أن نجعل من الشعر والأدب قضية عامة وفكرة متجددة، وعاطفة متقدة وفعلاً نحس به، وتجويد الإملاء والقراءة والكتابة، وتشكيل الجمعيات الأدبية والمسارح الثقافية. سياسة من تخطيط وتنفيذ الدولة، لأنها طرف أساسي في صنع القرار اللغوي، ولأنها مسؤولة عن مصير اللغة الرسمية في حدودها وخارجها وفي أي مكان.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١- لقد ثبتت صحة فرضية الدراسة، فالتحديات الناجمة عن ضعف الاستيعاب اللغوي، تتطلب منهجية ثقافية وبنيات تحتية وتدريبا وتأهيلا واعتماد ميزانيات هي الأكثر تأثيراً مقارنةً بتلك الناتجة عن الاقتراض اللغوي أو تداخل البنى اللغوية.

٢- معظم اللّغات السودانية القديمة " النوبية والتبداوية، واللّغات الأفريقية اقترضت من اللغة العربية ألفاظاً أكثر من اقتراض اللغة العربية منها.

٣- الترف التعبيري والتفاخر بلغة الآخر، عند الأشخاص الذين يحاولون إظهار قربهم ومعرفتهم وإعجابهم بها. وهو عامل نفسي يتجلى في إعجاب بعض الفئات المُثقفة بلغات رائدة ومهيمنة عالمياً، خاصةً اللغة الإنجليزية.

٤- جاءت اللغة العربية إلى بيئة جديدة بها لُغات محلية، دخلت معها في صراع ليس بالضرورة أن يكون عنيفاً، تغلبت، ولكنها لم تتمكن من القضاء عليها، وبالتالي تداخلت في بنياتها اللغوية فأثرت عليها وتأثرت بها.

٥- هناك ثلاثة أنماط لُغوية جغرافية في السودان. هيمنة للُغات محلية في الشمال والشرق والغرب والشمال الشرقي، وسيطرة للُغة العربية في الوسط، وثنائية لُغوية في المواقع الجغرافية التي تقع بين هيمنة اللّغات المحلية وسيطرة اللغة العربية.

٦- الاختلاف الجغرافي في التحدث باللهجة العربية:

في السودان اللغة العربية هي اللغة الرسمية، ولكن جغرافياً هناك وجود لصيغ إقليمية مختلفة عند التحدث باللهجة العربية، فالمتكلمون لا يتكلمون اللغة العربية نفسها في وسط البلاد، أو في غربه، أو شرقه، أو شماله لأن لوظيفة اللّغات انعكاسات على شكلها.

٧- ضعف الاستيعاب اللغوي ناتج عن جملة من الأسباب منها: التدهور في مستوى التحصيل الأكاديمي للطلاب في مختلف المستويات والمواقع والمجالات. هذه النتيجة تتماشى مع دراسة (عثمان: ٢٠١٦). جدول رقم(١).

جدول رقم (١) يوضح أسباب محنة اللغة العربية في السودان وفق مؤشرات مختاره.

المؤشر	أوافق %	لا أوافق %
هناك في تدهور التحصيل الأكاديمي لطلاب المرحلة الثانوية في اللغة العربية	٪٩٣	٪٧
هناك تدهور في التحصيل الأكاديمي لطلاب الجامعات في اللغة العربية	٪٨٨	٪١٢
أحد أوجه التدهور يتمثل في الأخطاء الإملائية	٪٧٥	٪٢٥
من أشكال التدهور في اللغة العربية كثرة الأخطاء الإنشائية في النصوص	٪٨٥	٪١٥
من مظاهر تدهور اللغة العربية الأخطاء التي تحدث في المكاتبات الرسمية	٪٦٥	٪٣٥
من صور تراجع اللغة العربية كثرة أخطاء المُذيعين في الإذاعة والتلفزيون	٪٨٨	٪١٢
من أبرز مظاهر التراجع هو الأخطاء اللغوية في اللافتات التجارية والإرشادية	٪٥٩	٪٤١
من أشكال التدهور ركاكة الصياغة اللغوية في المكاتبات المختلفة	٪٨٠	٪٢٠
من أشكال التراجع في اللغة العربية رداءة الكتابة في مختلف المجالات	٪٦١	٪٣٩

المصدر: عثمان، ٢٠١٦م

هذا الجدول حصيلة لاستبانة وُزعت على ٩٩ عضواً لهيئة التدريس بالجامعات السودانية عام ٢٠١٥م. والجدول يشير من جانب آخر إلى ضعف الاستعاب اللغوي في المستويات الأكاديمية المختلفة في البلاد بدليل الأخطاء الإملائية والإنشائية في النصوص والمكاتبات الرسمية، وفي الإذاعة والتلفزيون، واللافتات التجارية والإرشادية، وفي الكتابة في مختلف المجالات.

التوصيات:

-نشر ثقافة المخاطر التي يمكن أن تنجم من الاقتراض اللغوي. لا توجد لغة محصنة من ظاهرة الاقتراض، وإذا كان لا بد منه فليكن الاقتراض المُعرب "الذي يخضع لقواعد اللغة العربية"، وليس الاقتراض الدخيل " الذي لا يخضع لقوانين اللغة العربية".

-يلزم الأمر سياسة لُغوية تركز على أنظمة التعليم وتطوير المناهج والاهتمام باللّغات المختلفة.

-استدامة الاحتفال باليوم الدولي للغة الأُم في ٢١ فبراير من كل سنة وهو الأمر الذي أقره المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة " اليونسكو" في فبراير ١٩٩٩م.

-مراجعة المناهج وتنقيحها وتطويرها لتحقيق أهداف إمكانية استيعاب مختلف الدارسين بإختلاف فروقاتهم الذهنية والعقلية.

-إحياء وتأسيس الجمعيات الأدبية ومجموعات المطارحة الشعرية والمسرحيات الثقافية بالمؤسسات التعليمية المُختلفة، والبنيات التحتية اللازمة.

-بناء استراتيجية وطنية لُغوية شاملة، قابلة للتنفيذ، وذات سقف زمني ترتكز على الالتزام والإرادة السياسيين.

-تطوير وتعزيز الفكر اللغوي نحو توظيف اللغة العربية علمياً في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية.

-حماية اللغة العربية والإصرار على سلامتها في المحافل كافة.

المصادر والمراجع:

-المددي، وئام، ٢٠١٦، مواجهة صامتة، مجلة الدوحة، العدد ١١٠، ص٥٢.

-السوداني، حسين، ٢٠١٦، السياسات اللغوية في قلب المعركة، مجلة الدوحة، العدد ١١٠، ص٥٦.

-المسكيني، فتحي، ٢٠١٦، المُتهمون بالقتل اللغوي، مجلة الدوحة، العدد ١١٠، ص٦٠.

-الرحموني، عبدالرحيم، ٢٠١٦، التلهيج والحرب على الفصحى، مجلة الدوحة، العدد ١١٠، ص٦٤.

-بروطون، ج. ل. رولان، ٢٠١٦، هل تفوُّق اللغة الإنجليزية أمر محتوم؟، مجلة الدوحة، العدد ١١٠، ص٧٧.

-جاه الله، كمال محمد، وعبدالمولى مبارك محمد، ٢٠٠٧، ظاهرة الاقتراض اللّغوي بين اللّغات – الألفاظ العربية المقترضة من لغة الفور نموذجاً، جامعة أفريقيا العالمية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، إصدارة رقم ٥٤. دار جامعة أفريقيا العالمية.

-خسارة، ممدوح، ١٩٩٩، مخاطر الاقتراض اللغوي على العربية، التعريب، العدد السابع عشر، كلية الآداب، جامعة الكويت.

-عطية، سفيان عبدالعاطي وآخرون، ٢٠٠٧، المعجم الوسيط، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، في سعيد علي، ٢٠١٨.

-عثمان، أبوبكر محمد، ٢٠١٦، جغرافية اللّغة العربية في السودان، ورقة قدمت على المؤتمر الدولي الخامس

-للُغة العربية في دبي.

-قاسم، عون الشريف، ١٩٨٩، الإسلام والعربية في السودان، دار الجيل، بيروت، لبنان، ودار المأمون المحدودة، الخرطوم، السودان.

-كالفي، جان لويس، ترجمة محمد الشاوش، ٢٠١٦، الأمر بيد المُتكلمين، مجلة الدوحة، العدد ١١٠، ص٧

-محمد، لعمري، ٢٠١٧، الاقتراض اللّغوي في ضوء التواصل الحضاري– العصر العباسي الثاني أنموذجاً، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، الطور الثالث، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر. في dspace.univ–tlemcen.dz.